تجليات الواقع الاجتماعي في شعر عبد الله عيسى لحيلح

تاريخ الارسال:21 / 03 / 2019 تاريخ النشر : 20 / 06 / 2019

موسى كراد -المركز الجامعي - ميلة-

ملخص:

إنّ الشعر تجربة إنسانية بها عبر المجتمع عن أحواله وأفكاره، وتجلت فيه صورة خاصة للواقع، وهو يحمل عبئا يسيرا في التأثير على حياة الشعوب والأمم، وهو الكشاف الذي يعرض لنا صورة وأحوال المجتمعات الإنسانية، ويكشف بمنظوره الخاص تلك الإشكاليات والتداخلات والمتغيرات التي تلاحق المجتمع؛ فيدل _ في بعض الأحيان _ على مكامن الخلل وبؤر الضعف والنقص، ويشير أيضا إلى النواحي الايجابية، وعن طريقه نستطيع الاستدلال على أوضاع المجتمعات وتاريخها وإرثها الثقافي وأعرافها الاجتماعية وتقدمها في جميع المجالات.

ويسعى الشاعر _ ولو بجزء يسير _ في رسم وقراءة واقعه الاجتماعي وذلك بالإشارة إلى الأخطار والأخطاء التي تجتاح الحياة الاجتماعية. فهو يحمل نصيبا من هذا الهم الاجتماعي الجماعي المشترك.

فالشاعر الجاهلي مثلا كان الصوت المعبر عن قبيلته ومجتمعه, أو ما يصطلح عليه في العصر الحالي خلية الاتصال والإعلام، فهو الناطق الرسمي لها في أيامها وحروبها وأعيادها... وكذلك كان الأمر في العصر الأموي والعباسي مع اختلاف ملابسات وظروف كل عصر...

فهل حمل شعر عيسى لحيلح في العصر الحديث هذا الهم والعبء الاجتماعي؟ وهل كان توظيف الشاعر عيسى لحيلح للتقنيات التعبيرية والأشكال الفنية ذا أبعاد اجتماعية واكبت روح عصره أم كان مجرد تقليد فني حتى في الظروف الاجتماعية ؟

إذن سوف ننطلق من هذه المقاربة الاجتماعية لشعر عيسى لحيلح لاستكناه أهم الأبعاد الاجتماعية المبطنة والظاهرة.

الكلمات المفتاحية: الواقع الاجتماعي؛ تجليات؛ عيسى لحيلح؛

Abstract

The poet seeks _ albeit a small part _ in drawing and reading his social reality by referring to the dangers and mistakes that engulf the social life. It carries a share of this common collective social concern.

The ignorant poet, for example, was the voice of his tribe and society, or what he calls the current cell of communication and information, the official spokesman for it in its days and wars and holidays ... as well as in the Umayyad and Abbasid times with different circumstances and circumstances of each era ...

Is the poetry of Issa Halih in modern times this concern and social burden? Was the recruitment of the poet Issa Lahilh of expressionist techniques and artistic forms of social dimensions and imbued the spirit of his time or was it just a technical tradition even in social conditions?

Keywords: social reality; Reflections; Issa Lahilh;

تتأسس هذه الورقة البحثية على العناصر الآتية:

- مدخل يعرض إلى العلاقة بين الأدب والبعد الاجتماعي.
- من هو الشاعر عيسى لحيلح.
- تجليات الواقع الاجتماعي وأبعاده – نماذج مختارة _
- الخاتمة

1. مدخل: علاقة الأدب بالمجتمع:

إنّ العلاقة بين الأديب ومجتمعه هي علاقة توسم بأنها تبادلية؛ فكلاهما يؤثر في الآخر؛ فالأدب ظاهرة اجتماعية، وعلى الرغم من كون العملية الإبداعية الأدبية متسمة بالذاتية من جهة الابتكار والكشف والجمالية، إلا أنها اجتماعية لأن مادتها وعناصرها من الحياة والمجتمع.

فللأدب " انعكاسات اجتماعية عديدة، وهو في حد ذاته يعد انعكاسًا اجتماعيا حتى في أكثر موضوعاته خصوصية. فهو نشاط اجتماعي قبل أن يكون نشاطًا لغويًا. حتى اللغة تفسر من منظور اجتماعي قبل أن تفسر من منظور آخر"[1] ومن ثم فالأدب من وجهة نظر اجتماعية هو مجموعة من القيم، أو التعبير عنها[2].

ويكشف سيد بحراوي على أهمية العلاقة بين الأدب والمجتمع يقول:" كانت قضية العلاقة بين الأدب والمجتمع وما تزال موضوعًا شديد الأهمية لفهم الأدب ودراسته، وبدونها لا يمكن فهم الأدب ولا المجتمع، ورغم أن مصطلحي الأدب والمجتمع لم يحملا نفس الدلالات الحديثة عند القدماء، إلا إننا نستطيع أن نلمح إسهامات حول هذه العلاقة منذ القديم "[3]. فقد اتفق النقاد على عدم إنكار العلاقة بينهما، أنما الاختلاف نشأ حول فهم طبيعة هذه العلاقة.

والعلاقة بينهما كما قلنا ليست وليدة عصر وزمن دون آخر، أو خاصة بمجتمع دون آخر، يرجع بنا شوقي ضيف إلى الوراء ليعرض لنا صورا من العلاقة التي تجمع الأدب والمجتمع في عصورهما الأولى يقول:" ولنرجع إلى الوراء إلى أعمق صور للشعر، وهى الشعر القصصي عند اليونان، صورة الإلياذة، فسنجدها لا تتغنى بعواطف فردية، وإنما تتغنى بعواطف الجماعة اليونانية لعصرها، مصورة حروبها بطروادة ومن استبسلوا فيها من الأبطال، ومن هنا نشأ القول بأن ناظمها ليس هو هوميروس وحده "[4] . وفى العصر الجاهلى كان الشعر العربي مرآة عصره، وصورة من حياة العربي وباديته، أو كما يقال: كان ديوان العرب، أو سجل العرب الذي يصور حياتهم، ويحكى عاداتهم وتقاليدهم، ويعكس أحوال معيشتهم فى صدق تام. ولنا أن نتوقف عند شاعر مثل " عمرو بن كلثوم " الذى قال قصيدة تغنت بها قبيلته بني تغلب وورثتها للأجيال المتلاحقة حتى قال فيهم الشاعر:

ألهَى بنِي تغلبَ عنْ كلِّ مكرُمَـةٍ قَصيدةٌ قالها عمرو بن كُلثُومِ

يفـاخرون بـها مـذكان أولـهم يا للرجالِ لشعرٍ غيرِ مسئومِ

ويتساءل عبد الجواد خفاجي يقول:" لماذا دخل عمرو بن كلثوم التاريخ الأدبي بمثل هذه القصيدة الوحيدة، ولماذا حفظها بنو تغلب وتناقلوها وظلوا يفاخرون بها جيلاً بعد جيل؟ .. أ لتدفق المعنى وقوة السبك وتلاحم النسج، وجودة الصياغة وحسن العبارة، وسلامة الأسلوب، أم لأنها بجانب هذا ارتبطت بحياة القبيلة ارتباطاً مباشرًا، وبما دار من حروب بينها وبين قبيلة " بكر " فيما عرف بحرب البسوس؟ ولا شك أن القصيدة تتغنى بأمجاد القبيلة وبطولاتها وتصور ما كان عليه رجالها من شجاعة وإقدام وعز وجاه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ارتبطت بموقف يدلل به الشاعر شخصيًا على الإباء والشجاعة والجرأة "[5] ويضيف الباحث أنّ " معلقة عمرو بن كلثوم تتشابه فنيًا مع فنيات معظم قصائد العصر الجاهلي، وتسير على نفس منهج القصيدة الجاهلية عمومًا، ولكن صاحبها دخل بها التاريخ الأدبي لأنها عبَّرت بصدق عن احتياجات روحية وسياسية في مجتمع الشاعر، وقدمت صورة الصراع الدائر بين هذا المجتمع القبلي وغيره، وانتصرت لهذا المجتمع وهى تعبر عن فرحته، وأبرزت صفاته الأصلية وهى تعبر عن انتصاراته."[6]

فالشاعر القديم في كل العصور الأدبية عمومًا صوت القبيلة ولسان حالها المعبر عن أفراحها وأتراحها في كل مراحل حياتها، وفى كل مواقف الصراع.

وكما أسلفنا الذكر " لم تكن العلاقة المتبادلة بين الأدب والمجتمع محل شك على مدى التاريخ الأدبي، وإنما الإشكاليات كانت تتراكم حول وجهة النظر التي تنظر بها إلى هذه العلاقة، وفى طرق تناولها نقديا، وفى الصراع الفكري والفلسفي الذي دار حولها. وعلى مدى التاريخ الحديث، ومنذ انهيار النظام الإقطاعي في أوروبا وإنهاء سيطرة الكنيسة على المجتمع والفكر وظهور ما يسمى بالعلمانية شهدت الفترة التالية نهضة للعلوم الطبيعية ، حتى لأنها سيطرت بمنهجها وقوانينها منذ القرن التاسع عشر على البحوث الأدبية.."[7] سيطرة " أدت إلى ظهور ما يمكن أن نسميه بالتاريخ الطبيعي للأدب عند طائفة من النقاد ومؤرخي الآداب، يأتي في مقدمتهم " سانت بيف "و " تين " و"برونتيير" متأثرين بفلسفة "أوجست كونت" الوضعية، فيما عرفوا تاريخيا بالنقاد الوضعيين نسبة إلى هذه الفلسفة، وكانت لهم رؤيتهم لهذا العلاقة... ولدور الأدب والأديب والمجتمع أيضا. وفى رأى أصحاب هذا الاتجاه أن من أشد الأمور خطأ أن يقال: إن كل أديب كيان مستقل بذاته فضلا عن أن يقال ذلك في آثاره وإنما الأديب وكل آثاره وأعماله ثمرة قوانين حتمية عملت في القديم، وتعمل في الحاضر، وتظل تعمل في المستقبل، وهو يصدر عمها صدورًا حتميًّا لا مفر منه ولا خلاص. إذ تشكله وتكيفه حسب مشيئتها وحسب ما تحمل في تضاعيفها من جبر وإلزام..[8].

إنّ العلاقة بين الأدب والمجتمع لم تكن قضية هامشية في التاريخ الأدبي، بل كانت على درجة من الأهمية، ومحل اهتمام الفلسفات التى تبنتها، وقد قامت حولها أيضا مدارس أدبية تتبناها وتعلي من شأنها وتراها جوهر الأدبي، كما قامت مدارس أخرى تتنكر لهذا العلاقة، واعتبرته محض هروب من الواقع والمجتمع وقضاياه.

2. من هو الشاعر عيسى لحيلح[9]

لُحيلح عِيسَى من مواليد 1962.12.31 بولاية جيجل- الجزائر، لأبوَينِ مجاهدَيْن ضد الاستعمار الفرنسي. تلقى تعليمه القرآني في كتّاب القرية. أما تعليمه الابتدائي فقد كان بمدرسة "لولوج" الابتدائية بولاية سكيكدة، وبعد ستّ سنواتٍ ألْتحق بمتوسطة الحسن بن

الهيثم ببلدية الشَّقفة. أما تعليمه الثانوي فقد كان بـ " ثانوية الطاهير المختلطة" بلدية الطاهير. وفيها تحصل على شهادة البكالوريا (فرع الأدب العربي) سنة 1981. ثم الْتحق بـ " معهد اللغة والأدب العربي " / جامعة قسنطينة. وفي سنة 1985 حاز على شهادة الليسانس في الأدب العربي، وكانت مذكّرة التّخرج تحت عنوان " التَّقلِيدُ وَالتَّجْدِيدُ فيِ شِعْرِ أَبِي نَواسْ ".

ولأنه كان ضمن الأوائل في دفعته، فقد تحصّل على منحةٍ جامعية للدراسة بالخارج، فكانت وجهته جمهورية مصر العربية. وفي سنة 1989 تحصّل على الماجستير بدرجة " ممتاز"، وكانت الأطروحة تحت عنوان: " مُقَوّمَاتُ الحَضَارَةِ الإنسَانِيّةِ فيِ الَمفهُومِ الإِسْلاَمِي"، تحت إشراف الأستاذ الدكتور ّ مُصطفى الشُّكعَة " .

في سنة 1989 عُيّنَ مدرساً بجامعة الأمير عبد القادر/ قسنطينة ، وفي سنة 2002 التحق بجامعة جيجل/ الجزائر مُدرّسا وفي سنة 2005 ناقش أطروحة دكتوراه الدولة، وكانت تحت عنوان " الجَدَلِيّةُ التَّارِيخِيَّةُ فيِ القُرآنِ الكَرِيم ". وقد نالها بدرجة " مشرّف جدّا " مع التوصية بالطبع وتهنئة اللجنة، مع تهنئة خاصة من فخامة رئيس الجمهورية.

أعماله الأدبية:

له من الأعمال الأدبية ما يلي: ستة دواوين شعرية.

_ أربع روايات، مجموعة قصصية، مسرحية شعرية، فاز بها سنة 1990 بالجائزة الأولى في مسابقة وطنية لأحسن نصّ مسرحي.

_ في سنة 2005 فاز بالجائزة الأولى لمسابقة " جائزة مفدي زكريا المغاربية للشعر "

_ أُجريت حول أعماله الأدبية الكثير من بحوث التخرّج الجامعي ورسائل الماجستير والدكتوراه.

3. تجليات الواقع الاجتماعي في شعر عيسى لحيلح: نماذج مختارة

لقد اتخذ الشعراء الجزائريون كل الأغراض والوسائل والطرائق في التعبير، ولم يغفلوا معطيات واقع الشعب الجزائري فأرخوا له بطريقتهم " ولم تكن تلك الصور التي يلتقطها الشاعر ولا الخيال الحر ولا أي مظهر آخر ليخرج الشعر من واقعيته فهي جميعا تشترك في رسم أبعاد الواقع الاجتماعي"[10]، ولقد وقف الشعراء الجزائريون يصورون

جوانب من الحياة الاجتماعية فأتت قصائدهم مشحونة بمعايير تحدد قواعد للسلوك " فيها من الغضب والثورة على الأوضاع السياسية من جهة والغضب على تدهور الحياة الاجتماعية بما فيها من تدني الأخلاق وفساد القيم خاصة فساد الذمم من جهة أخرى"[11].

لقد أدرك الشاعر عبد الله عيسى لحيلح – وهو من هؤلاء الشعراء الجزائريين - بمرارةٍ أنَّ المنطق الذي يحكم العلاقات الإنسانية والاجتماعية في مجتمعه هو منطق القوة الغابية والقهر الاجتماعي المبني على التنافس الحاد والقمع والاستبعاد السياسي ففي المجموعة الشعرية (**وشم في زند قرشي**) يُقدم لنا عيسى لحيلح قصائد تحكي عالَماً مقهورا منهزما يحكمه القمع ويَشيعُ فيه الغدر والخيانة والألم والجروح يقول عيسى :

أَ "مَيَّة" سوفَ أبوحُ

أ "مية" كُلِّي داء و ما سلمت فِيَّا إلا الجروح

أ "مية" لماذا تَخَلَّيْتِ عني..

و تركتني في لا جَدْوَى العصر أَسُفُّ رِيحًا و تَسُتُّفِنِي ريحٌ[12]

يقدم لنا عيسى لحيلح هنا خطابا شعريا دراميا حيث يشكو "مية" و "مية" هنا هي وطنه وأمته حيث تَرَكَتَهُ بين الظلم والاستبداد في عصر سماه بلا جدوى العصر، وهو إذْ يقف بين أطلال هذا **القهر الاجتماعي** الذي عاشه الشاعر تسأله" مية "لماذا فيجيب:

وتسألين لماذا أنا خاو على أطلال من هدموني أنوح

ذاك السر- الألم الأبدي و حتما سوف أبوح[13]

إذْ يَعْتَبِرُ الوقوفَ على الأطلال سِرٌ وألمٌ أبدي سيؤول حتما للبوح والمكاشفة ويقصد بالبوح هنا الدعوة إلى التعبير والاحتجاج والنهوض.

يقدم لنا عيسى لحيلح عالما اجتماعيا ممسوخا وهو إن يكن صريحا مباشرا فإن المسخ كامن فيه ضمنا وبإيحاء شديد، ذلك أن الفرد فقد جوهره الإنساني وضيع مبادئه وغدا يتلون كالحرباء.

في قصيدة "وشم في زند قرشي" نجد عيسى لحيلح يقف على أكثر من موضوع يستنطق أبعادا اجتماعية كثيرة نستطيع لمَّ شملها في قناع المبادئ الإنسانية والاجتماعية الضائعة والمهجورة، حيث يقول:

ومالت موازين و ديست مبادئ فَعُدَّ التعري في قريش تحضرا

وسنت قريش من هواها مهازلا تسفه أحلاما لتعبد عســــــــــكرا

ويلقى كرام الناس شحا مغاضبا و يلقى لئام الناس سمحا مشمرا[14]

و **"قريش"** هنا هي موضوع رئيسي للقصيدة وهي جزء من عنوان القصيدة، حيث وقف الشاعر عليها مبرزا أهم عيوبها وسيئاتها التي جنتها من هذه الحضارة الغربية الغريبة عن حضارتها الإسلامية وتراثها العربي القديم.

فحُقَّ لنا إذن أن نسمي هذه القصيدة بأنَّها وقوف على **المبادئ والقيم الضائعة والمهجورة،** كذلك نجد ذلك في قصيدة " نداء إلى أبا الطيب المتنبي " تقديم شكوى لأبي الطيب المتنبي _ رمز العروبة والعربية _ حيث يذكر الشاعر بتَغَيُرِ الأوضاع رأسا على عقب، لقد انكسرت أماني الشاعر على صخرة الواقع الذي فتح عليه عينيه ولذا فهو لا يملك إلا الاعتراف بهذا الفشل الذي صادفه ولا يملك بعدها إلا اجترار الصدمة النفسية والاجتماعية التي خَبَرَها ولم يجد إلا (**أبا الطيب**) يقف عنده علَّه يُعطيه فُسْحَةً من الأمل؛ أمل الرجوع إلى زمن المبادئ الشريفة والعزة والكرامة يقول عيسى:

أبا الطيب..." الأقزام فينا تعملقوا و باعوا فساد المسلمين جواربا

و كم كـان "كافور" لعقمه ناكرا و هل كان كافور لعقمه داعيا

"أبا الطـيب" الأيام حبلى بعقمها تغني مواويلي و تبصق مائيا

تـــــــــذل كراما سادة في سـوافـل وللسافلين البهم أعطت معاليـــا

وما يستوي من كان سانية لهم و من كان سقاء يسوق السوانيا

وهل كان داعـــــــي عزيز بذلـــه تعالى لأعلى ثم أعلى العواليا[15]

لقد أصبح المكان والزمان الذي يعيش فيه الشاعر يُعِزُّ الذليل ويُذِلُّ العزيز، وأصبح الإسلام فيها ذليلا مدحورا.

وفي قصيدة مجنونة الحي يقف الشاعر عيسى لحيلح وقفة حسرة وندامة على واقع مرير مؤسف تحكمه الأهواء والخوف والجنون يقول:

مجنونة الحي..لا دار و لا سند إلا الجنون..يضم القلب ضمـــــــيه

مجنونة الحي..ما عدت مثالبنا عودي فقبحك حتى الصمت يؤذيه[16]

ثم يصف الشاعر من المثالب التي حكى عنها يقول:

و في الزوايا جماهير معطَّشةُ معشوقة الجنس تَفْنَى في نواديه[17]

وبعدها ينتقل الشاعر من مساءلة مجنونة الحي إلى الحديث عن مكان جديد هو المدينة، كثُر فيه الفساد والظلم وانعدم فيه الأمن والسلام فيه، يقول:

كل المدينة حارات مفخخة و الأمن يرقد في أقداح ساقية[18]

إنَّ الشاعر هنا بصدد خطاب ودعوة مجنونة الحي بالرجوع والعودة إلى الرشاد والهداية والتوبة، لأنها تعيش في تيه مفروض كما يسميه الشاعر....لكن يأتيه الجواب

أماه..أماه يأتيك الصدى فزعا حتى الصدى ملَّ أصواتا تحاكيه[19]

إنَّه اليأس المُطْبَق يعلن من خلاله الشاعر- بجرأة قاسية لا حوارية فيها – عن إفلاس مجتمعه - يقصد هنا المرأة - الذي فقد فيه الأمن والعفة والعفاف وأضحى القبح والخوف والجريمة هي أبرز خصائصه وهذا ما يعكسه أيضا اللحيلح في قصيدته معاناة ليلية:

قَيْءُ المدينة ممـلوء به قـدحي يا ويح ساكبه...يا ويح شاربه

قد أورقَ البرد كالأشجار في جسدي يا رب...هل كلُّنا حقا نعانيـــه؟[20]

يصف لنا الشاعر معاناته الليلية مع البرد و يطرح سؤالا مهما: هل كلُّ الناس تعاني من هذا البرد..؟ طبعا لا، إذن إنَّها الصدمة العنيفة يكشف عنها الشاعر عن المدينة والرفض الصريح لها ولليلها.

إن حب الشاعر للمبادئ والأخلاق السامية والقيم الصادقة لم يكن زائفا أو مزيفا أو خائنا وإنما كان وفيا صادقا مخلصا في حبه فتجده في قصيدة " مكة الثوار بلدي " يثور وينتفض بإبراز مكانة حبه ووفائه يقول:

يا دار مية جادت بالدموع يـــدي ردي سؤالي هل في الدار من أحد

ما غير البين من طبعي و من خلقي هذه الحقيقة لم أنقص و لم أزد[21]

إنّ الشاعر و هو يقف على دار "مية" لا يقصد تلك البناية المكونة من الحجارة والطوب إنما يقف على أطلال معنوية غير مرئية وهي هنا **البقاء على العهد والإخلاص في المبادئ**، لهذا فهو يُلِحُّ في طلب السؤال مقارنةً بالنابغة الذبياني الذي قال في مطلع قصيدته:

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت و قد طال عليها سالف الأحد

وقفت فيها أصيلانا أسائلها أعيث جوابا و حافي الربع من أحد[22]

إنَّ عيسى لحيلح من خلال مطلعه لا تهمه الدار وإنَّما يهمه من في الدار وماذا يوجد في "دار مية" التي يقف عليها سوى حباً تركه الناس وهجروه وهو كالشاعر الذي يقول:

و ما حب الديار شغفنا قلبي ولكن حب من سكن الديار

إنَّ الذي سَكَنَ ديارَ عيسى لحيلح هي **المبادئ واعتزازه بالانتماء العربي والإسلامي** لكن..يقول الشاعر:

تأبَّدَ الحُبُّ...مَلَّ الدَّمْعُ أشْرِعَتِي والقَلْبُ يا مَيَّ مَصْلُوبٌ عَلَى وَتَد[23]

يواصل الشاعر سرد مواجعه وآلامه الاجتماعية وكيف أن قومه استبدلوا الظلم والفساد والتيه والغواية والموت بجملة من **المبادئ** والقيم السامية من أمْن وعفة وبِرْ، وإحْسان.

ويختتم الشاعر عيسى لحيلح قصيدته بمقطع طللي وهو شيء جديد[24] حيث إنَّ الشاعر دعا للديار بالسقيا وهي هنا دعوى وأمل من الشاعر لهذه الديار علَّها ترجع إلى رشدها وهدايتها.

ونجد في مجموعته الأخرى " **غفا الحرفان**" مجموعة من القصائد التي تحمل بُعْدًا اجتماعيا جماليا. ففي قصيدة "**ركعة توحيد في محراب الشرك**" لم يستوقف الشاعر على الطلل أو رسم دارس على عادة الشعراء القدامى، وإنما وقَفَ على همومِ زمانه و أوضاعه القاسية يقول:

يا هموم الزمان المُر كفانا

تغضن منك وجه الزمان

أعْطِنا من الأرض مكانا

لا نلحق بالروس فيه و الماريكان[25]

لقد وصل بالشاعر من اليأس والقنوط إلى مخاطبة هذه الهموم علّها ترد سؤاله وتجيبه بتلبية مطالبه....لكن تأتي الإجابة من صحبه على طريقة الشعراء القدامى يقول:

قال صحبي صبرا ستأتي عصورا

فيها يُغَاثُ الشَّمَالُ و الجَّنُوبُ و يعصران[26]

لكن يأسه من هذا الزمان المر غَلَبَ على صبره يقول:

قلتُ:

إنَّ العصور أمسَتْ عقيما

لا تَحْبلُ إلا بالكُفْرِ

بالزيف

بالنكران[27]

وإذا كان امرئ القيس يستوقف صحبه للوقوف معه فان عيسى لحيلح يوجه خطابا وأمراً مباشرا لعصور السراب بالوقوف، وهو إذْ يوَّقِفُهَا ويستوقِفُهَا يُؤَنِبُهَا ويُعَاتِبُهَا ويلومها على ما فعلت به، وكيف تركته وضيَّعت دينه وإسلامه ومجتمعه، يقول:

قِفي... يا عصور السراب كرهنا

موتي يا دقائق

انتحري يا ثواني[28]

وفي قصيدة " يا حادي العيس لا تشدو " يواصل الشاعر وقوفه على "دار مية" ويصارحها بأنه وَفِيٌّ رغم كل الظروف، ويطلب منها أن ترشده إلى الطريق القويم بعد أن تعفن وضل الركب والأهل والأصحاب والحكام:

يا دار مية ضل الركب دلينا تعفن الدمع و احمرت مآقيـــــنا

يا دار مية ما خنا أحبـتـــــــــنا لا...بل أحببتنا يا دار خانونا[29]

وقد ظلَّ الشاعر يُنادي و يُنادي هذه الأطلال عَلَّها تُجيبه وترُد عليه بعد أن ألَحَّ عليها في السؤال.. تبقى الأطلال ساكنة ساكتة يقول:

ناديت.. ناديت والأطلال ساكنة و الجرح يغمرني والأهل لاهونا[30]

إنَّ وقوف الشاعر واستنجاده بـ**"حادي العيس"** المُلْهَم التراثي لَهُوَ تقديم شكوى مباشرة وطَلَبٌ على ألاَّ يُغَنِّي ويفرح بَلْ عليه أن يقرأ - سورة ياسين - والتي تقرأ على الموتى - في اعتقاد بعض المسلمين -.

يا حادي العيس هل أبصرت نكستنا هذه المواخير فاقرأ ذكر ياسينا[31]

إنَّ الشاعر يُشَبِّه مجتمعه بالميت الذي تقرأ عليه سورة ياسين، وهذا بفعل النكسات الإنسانية والاجتماعية التي لازمها ولا يريد النهوض والثورة.

خاتمة:

وهكذا يتضحُ لنا أنَّ شعر عيسى لحيلح وجدناه يحمل أبعادًا اجتماعية جمـــــــــــــةً، ساهمت في التعبير عن أوضاعه وأوضاع مجتمعه، وما كان الشاعر يُعَانِيهِ ويُكابده من قهر اجتماعي وبُؤس تَرْجَمَهُ الشاعر في تجربته الشعرية... والتي استطاعت أن تَحْمِلَ الهَمَّ والعبءَ الاجتماعي وتُشارك الشاعر والمتلقي في التعبير والكلام والبوح، وفي التغيير والثورة، والإصلاح.

لقد بدا الشاعر عيسى لحيلح مدركا لأوضاعه الاجتماعية وحمولاتها فحاول الغوص في أعماق الإنسان الجزائري وأمته فعبّر عن انشغالاته، همومه وآلامه مما يؤكد لنا التصاقه بالمجتمع ومعرفته بخباياه.

وقد ساعده في حسن تصوير واقعه الاجتماعي تلك اللغة الفنية البديعة التي يمتلك ناصيتها، فقد أتت مشحونة بجماليات اللفظ والمعنى، فهي لم تخرج عن بيئته وأحسنت التعبير عنها. يضاف لذلك ما كشفناه من مفارقات في شعره زادت من جماليته لرمزيتها أولا وطابعها الساخر والتراجيدي ثانيا.

بالإضافة أن معالجته لمشكلات مجتمعه بدت مستندة لقيم ديننا الحنيف حيث يستقيم المجتمع بتمسكه بها وينهار بذوبانها وتخليه عنها.

المصادر والمراجع (الاحالات):

[1] أحمد فراج،- الثقافة والعولمة / صراع الهويات والتحديات، الهيئة العامة لقصور الثقافة، كتاب أبحاث المؤتمر الرابع لإقليم غرب ووسط الذلتا سنة 2003 - ص: 96.

[2] عبد الجواد خفاجي، الأدب وهموم المجتمع، موقع رابطة أدباء الشام: http://www.odabasham.net مقالة/54491- ، تاريخ الزيارة: 2019/03/20.

[3] سيد البحراوي، المدخل الاجتماعي للأدب، القاهرة، دار الثقافة العربية سنة 2001 ص: 3.

[4] شوقي ضيف، المدخل الاجتماعي للأدب، القاهرة ، دار المعارف، ط- 8 ص:- 96.

[5] عبد الجواد خفاجي، الأدب وهموم المجتمع، موقع رابطة أدباء الشام: http://www.odabasham.net مقالة/54491- ، تاريخ الزيارة: 2019/03/20.

[6] المرجع نفسه.

[7] المرجع نفسه.

[8] شوقي ضيف، مرجع سابق ص: 86.

[9] ينظر: موقع: https://www.marefa.org عيسى لحيلح، تاريخ الزيارة: 2019/03/20. بتصرف

[10] بولرباح عثماني، الأبعاد الاجتماعية و القومية في شعر أحمد بن الحرمة، مجلة الأثر، ع22، جوان 2015، ورقلة، ص 130.

[11] العربي بن عاشور، التواصل في الشعر الشعبي، (الموروث الشعبي و قضايا الوطن)، الرابطة الولائية للفكر و الإبداع، الوادي،2006،ص 127.

[12] عيسى لحيلح: وشم في زند قرشي، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة الجزائر ط1 ، 1985،ص: 3.

[13] المصدر نفسه ص: 3-4.

[14] عيسى لحيلح: وشم في زند قرشي، ص:9.

[15] المصدر نفسه، ص:38.

[16] المصدر نفسه، ص:38.

[17] المصدر نفسه، ص: 38.

[18] المصدر نفسه، ص:39.

[19] المصدر نفسه، ص:39.

[20] عيسى لحيلح: وشم في زند قرشي ، ص:40-41.

[21] المصدر نفسه، ص:44.

[22] النابغة الذبياني: الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، د/ت، ص:14.

[23] عيسى لحيلح: وشم في زند قرشي، ص:44.

[24] حيث أَلِفَ الشعراء القدامى الدعاء للديار والسقيا لها في مطالع قصائدهم أو في أثنائها، لكن عيسى لحيلح ترك ذلك في خواتم القصيدة .

[25] عيسى لحيلح، غفا الحرفان، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص:8.

[26] المصدر نفسه، ص:8.

[27] المصدر نفسه، ص: 8.

[28] المصدر نفسه، ص: 9.

[29] المصدر نفسه، ص: 29.

[30] المصدر نفسه، ص: 30.

[31] المصدر نفسه، ص: 30.